

نفسير سورة الرعد

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ مَايُنْتُ أَلِكْتَبِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور، فقد تقدم في أول سورة البقرة، وقدمنا أن كل سورة تبتدئ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب، ولهذا قال: ﴿تِلْكَ مَايُنْتُ أَلِكْتَبِ﴾ أي هذه آيات الكتاب، وهو القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، قاله مجاهد وقتادة، وفيه نظر بل هو بعيد، ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ أي يا محمد ﴿مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ خبر تقدم مبتدؤه، وهو قوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة، واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدمنا، واستشهد بقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] أي مع هذا البيان والجلال والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٤﴾﴾

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه الذي يأذنه وأمره رفع السموات بغير عمد، بل يأذنه وأمره وتسخييره ورفعها عن الأرض بعدًا لا تنال ولا يدرك مداها، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء، ويُعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت، وبينهما من البعد مسيرة خمسمائة عام، وسمكها خمسمائة عام، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، كما قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَتْلُونَ ﴿١٢﴾﴾ الآية [الطلاق: ١٢].

وفي الحديث (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة) ^(١). وفي رواية «والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل» ^(٢) وجاء عن بعض السلف أن بعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة، وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وهو من ياقوته حمراء.

(١) صحيح: أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٠٤/١)، برقم (٥٩١)، وانظر الصحيحة، برقم (١٠٩).

(٢) انظر السابق.

وقوله: ﴿يَغْيِرُ عَمَدَ تَرَوْنَهَا﴾ روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا: لها عمد ولكن لا ترى. وقال إياس بن معاوية: السماء مقببة على الأرض مثل القبة، يعنى بلا عمد، وكذا روى عن قتادة، وهذا هو اللائق بالسياق، والظاهر من قوله تعالى: ﴿وَمَسِكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥] فعلى هذا يكون قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ تأكيداً لنفى ذلك، أى هى مرفوعة بغير عمد كما ترونها، وهذا هو الأكمل فى القدرة، وفى شعر أمية بن أبى الصلت «الذى آمن شعره، وكفر قلبه» (١) كما ورد فى الحديث، ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه:

وأنت الذى من فضل منّ ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت له: فاذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذى كان طاغيا

وقولا له:

هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا؟

وقولا له:

أأنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانيا؟

وقولا له:

هل أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنك الليل هاديا؟

وقولا له:

من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا؟

وقولا له:

من ينبت الحب فى الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه فى رؤوسه فى ذلك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ تقدم تفسيره فى سورة الأعراف وأنه يمرر كما جاء من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل، ولا تمثيل، تعالى الله علوا كبيرا. وقوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] وقيل: المراد إلى مستقرهما وهو تحت العرش مما يلى بطن الأرض من الجانب الآخر، فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش، لأنه على الصحيح الذى تقوم عليه الأدلة: قبة مما يلى العالم من هذا الوجه، وليس بمحيط كسائر الأفلاك، لأن له قوائم وحملة يحملونه، ولا يتصور هذا فى الفلك المستدير، وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة، ولله الحمد والمنة.

وذكر الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة التى هى أشرف وأعظم من الثوابت، فإذا كان قد سخر هذه، فلأن يدخل فى التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأحرى، كما نبه بقوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [انصت:

(١) ذكره ابن حجر فى الفتح (٧/١٥٣) وعزاه لابن منده.

٣٧] مع أنه قد صرح بذلك بقوله: ﴿وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالشُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْغَفَقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقوله: ﴿يُقَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَوْنَ رَيْبًا تُوَفِّيْتُمْ﴾ أى يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتداء خلقه.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْ عَشَرَ أَيْلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

لما ذكر تعالى العالم العلوى، شرع فى ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلى، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أى جعلها متسعة ممتدة فى الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون، ليسقى ما جعل فيها من الشرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح ﴿مِنْ كُلِّ رَوَاسِيٍّ اثْنَيْ عَشَرَ﴾ [مود: ٤٠] أى من كل شكل صنفان ﴿يُقْضَى أَيْلَ النَّهَارِ﴾ أى جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر، فيتصرف أيضًا فى الزمان كما يتصرف فى المكان والسكان، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أى فى آلاء الله وحكمه ودلائله.

وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ﴾ أى أراضٍ يجاور بعضها بعضًا، مع أن هذه طيبة تنبت ما يتنفع به الناس وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا، هكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهم. وكذا يدخل فى هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة، وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات، فهذه بصفقتها، وهذه بصفقتها الأخرى، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله: ﴿وَجَعَلَتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ﴾ يحتمل أن تكون عاطفة على جنات، فيكون ﴿وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ﴾ مرفوعين. ويحتمل أن يكون معطوفًا على أعناب، فيكون مجرورًا، ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة.

وقوله: ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ الصنوان: هو الأصول المجتمعة فى منبت واحد، كالرمان والتين، وبعض النخيل ونحو ذلك، وغير الصنوان: ما كان على أصل واحد، كسائر الأشجار، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه، كما جاء فى الصحيح^(١) أن رسول الله ﷺ قال لعمر: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه». وقال سفيان الثورى وشعبة عن أبى إسحاق عن البراء رضى الله عنه: الصنوان هى النخلات فى أصل واحد، وغير الصنوان المتفرقات، وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ قال الأعمش عن أبى صالح، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ ﴿وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ قال «الدقل،

(١) مسلم برقم (٩٨٣)، من حديث أبى هريرة.

والفارسي، والحلو، والحامض»^(١) رواه الترمذي وقال: حسن غريب، أى هذا الاختلاف فى أجناس الثمرات والزرور فى أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها، فهذا فى غاية الحلاوة، وذا فى غاية الحموضة، وذا فى غاية المرارة، وذا عفص، وهذا عذب، وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى، وهذا أصفر، وهذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أزرق، وكذلك الزهورات مع أنها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكثير الذى لا ينحصر ولا ينضب ففى ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذى بقدرته فاوت بين الأشياء، وخلقها على ما يريد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَيْدَا كَمَا تَرَبَّأْنَا لَهَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَيْكَ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِن تَعَجَّبَ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد، مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالاته فى خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء فكونها بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره فى أنه سيعيد العالمين خلقاً جديداً، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم ﴿أَيْدَا كَمَا تَرَبَّأْنَا لَهَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وقد علم كل عالم وعافل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِمْ خَلْقِيَةً يَمْدِدْ عَلَيْهِمْ قُدْرَتَهُمْ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ٣٣] ثم نعت المكذبين بهذا فقال: ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ﴾ أى يسحبون بها فى النار ﴿وَأَوْلَيْكَ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أى ماكنون فيها أبداً لا يحولون عنها ولا يزولون.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣)

يقول تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أى هؤلاء المكذبون ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أى بالعقوبة كما أخبر عنهم فى قوله: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِيَّةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُزِّلَ الْمَلَكِيَّةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٦-٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الآيتين المنكبت: ٥٣-٥٤]، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، وقال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَكَ آيَةَ مِنْ ص: ١٦﴾، أى عقابنا وحسابنا، كما قال مخبراً عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الآية [الانفال: ٣٢]، فكانوا من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم يطلبون أن يأتيهم بعذاب الله قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾ أى قد أوقعنا نعمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم.

(١) حسن: الترمذي برقم (٣١٨٨)، وانظر صحيح الترمذي.

ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أى إنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال: ﴿بَشِّرْ عِبَادِ إِنَّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَإِنَّ عَذَابِي هُوَ أَلَمَدَابُ الْأَلِيمِ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] إلى أمثال ذلك من الآيات التى تجمع الرجاء والخوف.

وقال ابن أبى حاتم: ^(١) حدثنا أبى، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحدًا العيش، ولولا وعيده وعقابه لا تكلم كل أحد» وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الحسن بن عثمان أبى حسان الزيادة أنه رأى رب العزة فى النوم، ورسول الله ﷺ واقف بين يديه يشفع فى رجل من أمته، فقال له: ألم يكفك أنى أنزلت عليك فى سورة الرعد ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ قال: ثم انتبهت.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

يقول تعالى إخبارًا عن المشركين أنهم يقولون كفرًا وعنادًا: لولا يأتينا بآية من ربه كما أرسل الأولون، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن يزيل عنهم الجبال، ويجعل مكانها مروجًا وأنهارًا، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الَّذِينَ أَكْفَرُوا﴾ الآية [الإسراء: ٥٩]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ أى إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التى أمرك بها، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: أى ولكل قوم داع. وقال العوفى عن ابن عباس فى تفسيرها: يقول الله تعالى: أنت يا محمد منذر، وأنا هادى كل قوم، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك وغير واحد. وعن مجاهد ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أى نبى، كقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد. وقال أبو صالح ويحيى بن رافع ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أى قائد. وقال أبو العالية: الهادى القائد، والقائد الإمام، والإمام العمل. وعن عكرمة وأبى الضحى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قالوا: هو محمد ﷺ. وقال مالك: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من يدعوهم إلى الله عز وجل.

وقال أبو جعفر بن جرير ^(٢) حدثنى أحمد بن يحيى الصوفى، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصارى، حدثنا معاذ بن مسلم، بباع الهروى عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة عن ابن

(١) ضعيف بهذا السياق: فيه على بن زيد ضعيف، والإسناد مرسل، لكن ثبت نحوه فى صحيح مسلم، برقم (٢٧٥٦)، ولفظه «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

(٢) منكر: كما قال ابن كثير: أخرجه الطبري فى التفسير (١٠٨/١٣).

عباس رضى الله عنهما، قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «أنا المنذر، ولكل قوم هاد» وأوما بيده إلى منكب على، فقال «أنت الهادي يا على بك يهتدى المهتدون من بعدى»، وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا على بن الحسين، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا المطلب بن زياد عن السدى عن عبد خير عن على بن الحسين، قال: الهادي رجل من بنى هاشم. قال الجنيد: هو على بن أبي طالب رضى الله عنه. قال ابن أبي حاتم: وروى عن ابن عباس فى إحدى الروايات وعن أبى جعفر محمد بن على بن نحو ذلك.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١٤﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿١٥﴾﴾

يخبر تعالى عن تمام علمه الذى لا يخفى عليه شىء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [القصص: ٣٤] أى ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقى أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُرْهٍ إِذْ أَنْشَأَ كُرْهًا مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ أُنْثَىٰ﴾ [النجم: ٣٢] الآية، وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦] أى خلقكم طورًا من بعد طور، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَّوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] وفى الصحيحين^(١) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه، وعمره، وعمله، وشقى أو سعيد». وفى الحديث الآخر «يقول الملك أى رب أذكر أم أنثى؟ أى رب أشقى أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيقول الله، ويكتب الملك^(٢)». وقوله ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال البخارى: ^(٣) حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» وقال العوفى عن ابن عباس ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ يعنى السقط، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ يقول: ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت حتى ولدته تمامًا، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر، ومن تحمل تسعة أشهر، ومنهن من تزيد فى الحمل، ومنهن من تنقص، فذلك الغيض والزيادة التى ذكر الله تعالى وكل ذلك بعلمه تعالى.

(١) البخارى برقم (٧٤٥٤)، ومسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخارى برقم (٣١٨)، مسلم برقم (٢٦٤٦)، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنهم.

(٣) البخارى برقم (٤٦٩٧).

وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا تَبْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال: ما نقصت من تسعة وما زاد عليها، وقال الضحاك: وضعتني أُمي وقد حملتني في بطنها ستين، وولدتني وقد نبتت ثنيتي. وقال ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت: لا يكون الحمل أكثر من ستين قدر ما يتحرك ظل مغزل، وقال مجاهد ﴿وَمَا تَبْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال: ما ترى من الدم في حملها، وما تزداد على تسعة أشهر، وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك، وقال مجاهد أيضًا: إذا رأت المرأة الدم دون التسعة، زاد على التسعة مثل أيام الحيض، وقاله عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد. وقال مجاهد أيضًا: ﴿وَمَا تَبْيِضُ الْأَرْحَامُ﴾ إراقة المرأة حتى يخس الولد، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ إن لم تهرق المرأة، تم الولد وعظم.

وقال مكحول: الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم، وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا وقع إلى الأرض، استهل، واستهله استنكاره لمكانه، فإذا قطعت سرتة، حول الله رزقه إلى ثدي أمه حتى لا يحزن ولا يطلب ولا يغتم، ثم يصير طفلاً يتناول الشيء بكفه فيأكله، فإذا هو بلغ قال: هو الموت أو القتل أنى لى بالرزق؟ فيقول مكحول ياويلك: غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير، حتى إذا اشتدت وعقلت قلت: هو الموت أو القتل أنى لى بالرزق، ثم قرأ مكحول ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ الآية. وقال قتادة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أى بأجل، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلا معلوماً. وفي الحديث الصحيح أن إحدى بنات النبي ﷺ بعثت إليه أن ابناً لها فى الموت، وأنها تحب أن يحضره.

فبعث إليها يقول: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمروها فلتصبر ولتحتسب»^(١) الحديث بتمامه. وقوله: ﴿عَلِمُ الْقَلْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أى يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء ﴿الْكَبِيرِ﴾ الذى هو أكبر من كل شيء، ﴿الْمَتَالِ﴾ أى على كل شيء ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وقهر كل شيء، فخصعت له الرقاب ودان له العباد طوعاً وكرهاً.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ لَمْ مُوقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، وأنه سواء منهم من أسر قوله أو جهر به، فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء، كقوله: ﴿وَإِنْ جَهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُمْلِئُونَ﴾ [النمل: ٢٥]،

وقالت عائشة رضی الله عنها: سبحان الذى وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ، وأنا فى جنب البيت، وإنه ليخفى على بعض كلامها، فأنزل الله

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧)، مسلم (٩٢٣)، من حديث أسامة بن زيد.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَيْكَ اللَّهُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَمَازِكُمْ إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) [المجادلة: ١] وقوله ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنَّبِيِّ﴾ أى مختف فى قعر بيته فى ظلام الليل، ﴿وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾ أى ظاهر ماش فى بياض النهار وضياؤه، فإن كليهما فى علم الله على السواء، كقوله تعالى: ﴿أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَعْتِفُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ الآية [هود: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْتَرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شِقَاكُلِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقوله: ﴿لَكُمْ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، بدلا حافظان وكاتبان، كما جاء فى الصحيح^(٢) «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون». وفى الحديث الآخر «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرموهم»^(٣).

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله: ﴿لَكُمْ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ والمعقبات من أمر الله وهى الملائكة، وقال عكرمة عن ابن عباس ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شىء يأتيه يريد، إلا قال له الملك وراءك، إلا شىء أذن الله فيه فيصيه.

وقال الثورى عن حبيب بن أبى ثابت، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿لَكُمْ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ قال: ذلك ملك من ملوك الدنيا، له حرس من دونه حرس، وقال العوفى عن ابن عباس: ﴿لَكُمْ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يعنى ولى الشيطان يكون عليه الحرس. وقال عكرمة فى تفسيرها: هؤلاء الأمراء المواكب من بين يديه ومن خلفه، وقال الضحاك فى الآية: هو السلطان المحترس من أمر الله، وهم أهل الشرك، والظاهر - والله أعلم - أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم.

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير^(٤) ههنا حديثا غريبا جدا، فقال حدثنى المثنى، حدثنا

(١) أخرجه البخاري معلقا عقب حديث رقم (٧٣٨٥)، ووصله النسائي (٣٤٦٠)، ابن ماجه (١٨٨)، أحمد (٢٣٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).

(٣) أخرجه الترمذي بنحوه (٢٨٠٠).

(٤) الطبري فى التفسير (١١٢/١٣).

إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري، حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال «ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمر على الذي على الشمال، فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتب؟ قال: لا، لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات، فإذا قال ثلاثًا، قال: نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين، ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا، يقول الله: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ﴾ [١٨: ١٨] وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله تعالى: ﴿لَمْ تُمَفِّقْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ﷺ. وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك، وملكان على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار، لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكًا على كل آدمي، وإبليس بالنهار وولده بالليل».

وقال الإمام أحمد^(١) رحمه الله: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا سفيان، حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، ولكن أعانني الله عليه، فلا يأمرني إلا بخير»، انفرد بإخراجه مسلم^(٢). وقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: المراد حفظهم له من أمر الله، رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم. وقال قتادة: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: وفي بعض القراءات يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وقال كعب الأحبار: لو تجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن، لرأى على كل شيء من ذلك شياطين، لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لتخطفتن.

وقال أبو أمامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك موكل يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له، وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي رضي الله عنه وهو يصلي فقال: احترس: فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إن الأجل جنة حصينة.

وقال بعضهم ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بأمر الله، كما جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله، رأيت رقي نسترقى بها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال «هي من قدر الله»^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم، عن إبراهيم قال: أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله، إلا تحول الله لهم ما يحبون

(٢) مسلم برقم (٢٨١٤).

(١) المسند (٣٧٧٠).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢١٤٨)، ابن ماجه (٣٤٣٧).

إلى ما يكرهون، ثم قال: إن مصداق ذلك في كتاب الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. وقد ورد هذا في حديث مرفوع، فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة (١) في كتابه صفة العرش: حدثنا الحسن بن علي، حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي، حدثنا أبو حنيفة اليماني الأنصاري عن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا على بن أبي طالب على منبر الكوفة قال: كنت إذا سكت عن رسول الله ﷺ ابتدأني، وإذا سألته عن الخبر أنبأني، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال: «قال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشى، ما من قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي»، وهذا غريب، وفي إسناده من لا أعرفه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۗ وَيَسْخِرُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۗ﴾

يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق، وهو ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب. وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن البرق، فقال: البرق الماء. وقوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال قتادة: خوفاً للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله، ﴿وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي ويخلقها منشاءً جديدة، وهي لكثرة مائها ثقلية قريبة إلى الأرض قال مجاهد: والسحاب الثقال الذي فيه الماء، قال: ﴿وَيَسْخِرُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ﴾ كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَخِّرُهُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال الإمام أحمد (٢): حدثنا يزيد، حدثنا إبراهيم بن سعد، أخبرني أبي قال: كنت جالساً إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد، فمر شيخ من بني غفار، فأرسل إليه حميد، فلما أقبل قال: يا ابن أخي، وسع له فيما بيني وبينك.

فقال له حميد: ما الحديث الذي حدثتني عن رسول الله ﷺ؟ فقال له الشيخ: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك» والمراد - والله أعلم - أن نطقها الرعد وضحكها البرق. وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال: يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكاً، ولا أنس منه منطلقاً، فضحكه البرق، ومنطقه الرعد.

وقال ابن أبي حاتم (٣): حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال: بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، فإذا مصع بذنبه فذاك البرق. وقال الإمام أحمد، (٤) حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الحجاج، حدثنا أبو مطر عن سالم، عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»، ورواه الترمذي (٥) والبخاري في كتاب الأدب،

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبة في صفة العرش، برقم (١٩)، وفيه الهيثم بن الأشعث مجهول.

(٢) المسند (٢٣١٧٤). (٣) وأخرجه الطبري في التفسير (١/١٥٣).

(٤) المسند (٥٧٢٩). (٥) ضعيف: الترمذي (٣٤٥٠). وانظر ضعيف الترمذي.

والنساء في اليوم والليلة، والحاكم في مستدرکه من حديث الحجاج بن أرطاة، عن أبي مطر ولم يسم به. وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: ^(١) حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد، حدثنا إسرائيل عن أبيه، عن رجل، عن أبي هريرة رفع الحديث، أنه كان إذا سمع الرعد قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده»، وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: «سبحان من سبحت له، وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والأسود بن يزيد، أنهم كانوا يقولون ذلك. وقال الأوزاعي: كان ابن أبي زكريا يقول: من قال حين يسمع الرعد: سبحان الله ويحمده، لم تصبه صاعقة، وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض»، ^(٢) رواه مالك في موطنه، والبخاري في كتاب الأدب.

وقال الإمام أحمد ^(٣): حدثنا سليمان بن داود الطيالسي، حدثنا صدقة بن موسى حدثنا محمد بن واسع عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال ربكم عز وجل: لو أن عبدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد». وقال الطبراني: ^(٤) حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا يحيى بن كثير أبو النصر، حدثنا عبد الكريم، حدثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرة» وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ السَّوَءِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يرسلها نعمة ينتقم بها ممن يشاء، ولهذا تكثر في آخر الزمان، كما قال الإمام أحمد: ^(٥) حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا عمارة عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول: من صعق تلكم الغداة؟ فيقولون: صعق فلان وفلان وفلان».

وقد روى في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي: ^(٦) حدثنا إسحاق ابن أبي إسرائيل، حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: «أذهب فادعه لي». قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله ﷺ، فقال له: من رسول الله، وما الله، أمن ذهب هو، أم من فضة هو، أم من نحاس هو؟ قال: فارجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: يا رسول الله، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لي كذا وكذا، فقال لي: «ارجع إليه الثانية» فذهب فقال له مثلها، فارجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، فقال: «ارجع إليه فادعه» فارجع إليه الثالثة، قال: فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه، فعدت فوقعت منها صاعقة، فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيُرْسِلُ السَّوَءِقَ﴾ الآية، ورواه ابن جرير من حديث

(١) في التفسير (١٢٤/١٣).

(٢) مالك في الموطأ (١٨٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢/١) (٧٢٣).

(٣) المسند (٨٤٩٣).

(٤) ضعيف جداً: في الكبير (١٦٤/١١)، برقم (١١٣٧١)، وانظر ضعيف الجامع، برقم (٥٥١).

(٥) المسند (١١٢٢٦). (٦) في مسنده (١٨٣/٦)، برقم (٣٤٦٨).

على بن أبي سارة به .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار^(١) عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون، عن ديلم بن غزوان، عن ثابت، عن أنس فذكر نحوه، وقال: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا عفان، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صبحار العبدي أنه بلغه أن النبي ﷺ بعثه إلى جبار يدعوهم فقال: أرايتم ربكم أذهب هو؟ أم فضة هو؟ أم لؤلؤ هو؟ قال: فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سبحانه فرعدت، فأرسل الله عليه صاعقة، فذهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية. وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد قال: جاء يهودى فقال: يا محمد أخبرنى عن ربك، من أى شىء هو؟ من نحاس هو، أم من لؤلؤ أو ياقوت؟ قال: فجاءت صاعقة فأخذته، وأنزل الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ الآية.

وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن، وكذب النبي ﷺ فأرسل الله صاعقة فأهلكته، وأنزل الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ الآية، وذكروا فى سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، لما قدما على رسول الله ﷺ المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر، فأبى عليهما رسول الله ﷺ، فقال له عامر بن الطفيل - لعنه الله - : أما والله لأملأنها عليك خيلا جرذاً ورجالا مرداً، فقال له رسول الله ﷺ : «يا أبى الله عليك ذلك وأبناء قبيلة»^(٢) يعنى الأنصار، ثم إنهما هما بالفتك برسول الله ﷺ فجعل أحدهما يخاطبه، والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه، فحماه الله تعالى منهما وعصمه، فخرجا من المدينة فانطلقا فى أحياء العرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام، فأرسل الله على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته، وأما عامر بن الطفيل، فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة، فجعل يقول: يا آل عامر غدة كغدة البكر، وموت فى بيت سلولية، حتى ماتا لعنهما الله، وأنزل الله فى مثل ذلك ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾، وفى ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه:

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد
فجعنى الرعد والصواعق بال فارس يوم الكريهة النجد

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا مسعدة بن سعيد العطار، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى، حدثنى عبد العزيز بن عمران، حدثنى عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس أن أربد بن قيس جزى بن خالد بن جعفر بن كلاب، وعامر بن الطفيل بن مالك، قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فانتهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه، فقال عامر بن الطفيل: يا محمد، ما تجعل لى إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم». قال عامر بن الطفيل: أتجعل لى الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنة الخيل» قال: أنا الآن فى أعنة خيل نجد، اجعل لى الوبر ولك المدر. قال رسول الله ﷺ: «لا»، فلما قفلا من عنده قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا، فقال له رسول الله ﷺ: «يمنعك الله»، فلما خرج أربد وعامر، قال عامر: يا أربد، أنا

(١) الطبري فى تفسيره (١٣/١٢٥).
(٢) أخرجه الطبري فى التفسير (١٣/١٢٦) مرسلًا.

أشغل عنك محمدًا بالحديث فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلت محمدًا لم يزدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب، فنعتيهم الدية. قال أريد: أفعَل، فأقبلًا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار، ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه، وسل أريد السيف، فلما وضع يده على قائم السيف بيست يده على قائم السيف، فلم يستطع سل السيف، فأبطأ أريد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أريد وما يصنع، فانصرف عنهما، فلما خرج عامر وأريد من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرّة - حرّة راقم - نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، فقالا: اشخصا يا عدوى الله لعنكما الله، فقال عامر: من هذا يا سعد؟ قال: هذا أسيد بن حضير الكتائب، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم، أرسل الله على أريد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالخرم أرسل الله قرحة فأخذته، فأدرکه الليل في بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول: غدة كغدة الجمل في بيت سلولية، يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعًا، فأنزل الله فيهما ﴿أَفَلَمْ يَعْلَمْ مَا تُحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ٨-١١] قال: المعقبات من أمر الله يحفظون محمدًا ﷺ، ثم ذكر أريد وما قتله به، فقال ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ الآية.

وقوله ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ أي يشكون في عظمته، وأنه لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ اللَّعَالِ﴾ قال ابن جرير: شديدة مما حلته في عقوبة من طغى عليه، وعتا وتمادى في كفره، وهذه الآية شبيهة بقوله: ﴿وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَنَنْظُرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَرْنَا لَهُمْ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١]، وعن علي رضي الله عنه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ اللَّعَالِ﴾ أي شديد الأخذ، وقال مجاهد: شديد القوة.

﴿لَمْ دَعَوْهُ أَلْفًا وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبِغُهُ وَمَا دَعَاؤُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥١﴾﴾

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿لَمْ دَعَوْهُ لَفْقًا﴾ قال: التوحيد، رواه ابن جرير. وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر ﴿لَمْ دَعَوْهُ لَفْقًا﴾ لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ الآية، أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿كَبْسِطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾. قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يتاله أبدًا بيده، فكيف يبلغ فاه؟ وقال مجاهد: ﴿كَبْسِطٍ كَثِيرٍ﴾ يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبدًا، وقيل: المراد كقباض يده على الماء، فإنه لا يحكم منه على شيء، كما قال الشاعر:

فإنى وإياكم وشوقًا إليكم كقباض ماء لم تسقه أنامله
وقال الآخر:

فأصبحت مما كان بيني وبينها من الودّ مثل القباض الماء باليد
ومعنى الكلام أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضًا وإما متناولًا له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلا للشرب، وكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله

إلها غيره، لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال ﴿وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي سَكْنٍ﴾ .

﴿وَاللّٰهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَلْتَهُمْ بِالْفُؤَادِ ۗ وَالْاَصٰلِ ﴿١٥﴾﴾

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه، الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين وكرهاً على الكافرين ﴿وَاللّٰهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَلْتَهُمْ بِالْفُؤَادِ﴾ أى البكر ﴿وَالْاَصٰلِ﴾ وهو جمع أصيل، وهو آخر النهار، كقوله تعالى: ﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اِلٰك مَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ نٰوٓءٍ يَنْفَخُوْا فِيْهِ لُطٰفًا ۗ الْاٰیةِ [النحل: ٤٨] .

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلْ اللّٰهُ قُلْ اَفَاَتَّخَذْتُمْ مِنْ دُوْنِهٖ اَوْلِيَاۗءَ لَا يَمْلِكُوْنَ لِنٰفْسِيْمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمٰتُ وَالنُّوْرُ اَمْ جَعَلُوْا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوْا كَحَلْقِهٖ فَتَشَبَهَ الْخٰلِقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّٰهُ خٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو، لأنهم معترفون بأنه هو الذى خلق السموات والأرض، وهو ربهما ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك هم الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعاً ولا ضرراً، أى لا تحصل منفعة ولا تدفع عنهم مضرة، فهل يستوى من عبد هذه الآلهة مع الله، ومن عبد الله وحده لا شريك له هو على نور من ربه؟ ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمٰتُ وَالنُّوْرُ اَمْ جَعَلُوْا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوْا كَحَلْقِهٖ فَتَشَبَهَ الْخٰلِقُ عَلَيْهِمْ﴾ أى اجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتمائله فى الخلق فخلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره أى ليس الأمر كذلك فإنه لا يشابهه شيء، ولا يماثله ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له، عبيد له، كما كانوا يقولون فى تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وكما أخبر تعالى عنهم فى قوله: ﴿مَا تَعْبُدُوْنَ إِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَآ اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰٓى﴾ [الزمر: ٣] فإنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهٗ اِلَّا لِمَنْ اٰذَنَ لَهٗ﴾ [سبا: ٢٣] ﴿وَكَمْ مِنْ مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ﴾ [النجم: ٢٦] الآية، وقال ﴿اِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا اِلٰى الرَّحْمٰنِ عَبْدًا لَقَدْ اَخَصَصْنٰمْ وَعَدَّهْمُ عَدًّا وَكَلَّمْتَهُمْ اٰتِيَهٗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ قَرًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥] فإذا كان الجميع عبيداً، فلم يعبد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأى والاختراع والابتداع، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم، تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم وخالفوهم، فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿وَلَا يَظَلُّمُ رَبُّكَ اَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

﴿اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ اَوْدِيَهٗٓۙ يَقْدِرُهَآ فَاَحْتَمَلَ السَّبِيْلُ رَبِّدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُؤُوْدُوْنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ اٰبِيْعَآءَ حٰلِيَةٍ اَوْ مَتَّعَ زَيْدٌ مِّثْلَهٗۙ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذٰبُ جَفَآءً وَّامَّا مَا يَبْقٰٓءُ النَّاسِ فَيَعْكُوْا فِي الْاَرْضِۙ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق فى ثباته وبقائه، والباطل فى اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: ﴿اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ أى مطراً ﴿فَسَالَتْ اَوْدِيَهٗٓۙ يَقْدِرُهَآ﴾ أى أخذ كل واحد بحسبه،

فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرًا، ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها ﴿فَأَحْتَمَلَ الْتَيْلَ زَيْدًا رَابِيًا﴾ أى فجاء على وجه الماء الذى سال فى هذه الأودية زيد عال عليه، هذا مثل .

وقوله : ﴿وَيْمًا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الآية، هذا هو المثل الثانى وهو ما يسبك فى النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية، أى ليجعل حلية نحاس أو حديد، فيجعل متاعًا، فإنه يعلوه زيد منه كما يعلو ذلك زيد منه ﴿كَذَلِكَ يَصْرَبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أى إذا اجتمعا، لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزيد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة، ونحوه مما يسبك فى النار، بل يذهب ويضمحل، ولهذا قال : ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَاثٌ وَمَا يُصْبَعُ بِهِ لَمْ يَلْبَسْهُ الْفُجَاءُ وَهُوَ يَصْبَعُ فِي جَانِبِي الْوَادِي، وَيَعْلَقُ بِالشَّجَرِ، وَتَنْسِفُهُ الرِّيحُ، وَكَذَلِكَ خَبثَ الذهب والفضة والحديد والنحاس، يذهب لا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء، وذلك الذهب ونحوه ينتفع به، ولهذا قال : ﴿وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ يَتَمَكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرَبُ اللَّهُ الْإِنْتِنَالَ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَصْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [المنكوت: ٤٣] وقال بعض السلف : كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه، بكيت على نفسى، لأن الله تعالى يقول ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [المنكوت: ٤٣] .

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدْرِهَا﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله : ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ﴾ وهو الشك، ﴿فِيذَهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ يَتَمَكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو اليقين، وكما يجعل الحلى فى النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه فى النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك، وقال العوفى عن ابن عباس قوله : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ الْتَيْلَ زَيْدًا رَابِيًا﴾ يقول : احتمل السيل ما فى الوادى من عود ودمته ﴿وَيْمًا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد، فللنحاس والحديد خبث، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأثبتت، فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السىء يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزيد، وكذلك الهدى والحق جاءا من عند الله، فمن عمل بالحق كان له، وبقي كما يبقى ما ينفع الناس فى الأرض، وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار، فتأكل خبثه، ويخرج جوده فينتفع به، فكذلك يضمحل الباطل، فإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال، فيزيغ الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق، وهكذا روى فى تفسيرها عن مجاهد والحسن البصرى وعطاء وقتادة، وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب سبحانه وتعالى فى أول سورة البقرة للمنافقين مثلين : نارياً ومائياً وهما قوله ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ الآية [البقرة: ١٧] ، ثم قال ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُورٌ﴾ [البقرة: ١٩] الآية، وهكذا ضرب للكافرين فى سورة النور مثلين (أحدهما) قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَرِيمًا يَصْعَقُونَ بِمَنَسِبَةِ الْأَلْمَنَانِ مَاءً﴾ الآية [النور: ٣٩] ، والسراب إنما يكون فى شدة الحر،

ولهذا جاء في الصحيحين^(١) : فيقال لليهود يوم القيامة : فما تريدون؟ فيقولون : أى ربنا عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا تردون؟ فيردون النار فإذا هى كسراب يحطم بعضها بعضاً . ثم قال تعالى فى المثل الآخر : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لِيَجِيَّ يَعْشَاهُ مُوَجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ [النور : ٤٠] الآية ، وفى الصحيحين^(٢) عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشرىوا ، ورعوا ، وسقوا ، وزرعوا ، وأصابت طائفة منها أخرى ، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه الله بما بعثنى ونفع به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به» فهذا مثل مائى . وقال فى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد^(٣) : «حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : «مثلئى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التى يقعن فى النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمن فيها - قال - : فذلكم مثلئى ومثلكم ، أنا أخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار هلم ، فتغلبونى فتقتحمون فيها» وأخرجاه فى الصحيحين أيضاً ، فهذا مثل نارى .

﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَ مَعَهُ لَأَفْتَدُوا بِوَعْدِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلْهَادِثِينَ﴾

يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال^(٤) : ﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أى أطاعوا الله ورسوله ، وانقادوا لأوامره ، وصدقوا أخباره الماضية والآتية ، فلهم ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ وهو الجزاء الحسن ، كقوله تعالى مخبراً عن ذى القرنين أنه قال : ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْتَبُهِ ثُمَّ بَدَأُ لَهُ إِلَٰهًا رَبَّهُ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف : ٨٧-٨٨] ، وقال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] . وقوله : ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ أى لم يطيعوا الله ، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أى فى الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ومثله معه لافتدوا به ، ولكن لا يقبل منهم ، لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أى فى الدار الآخرة . أى يناقشون على النقيير والقطمير ، والجليل والحقير ، ومن نوقش الحساب عذب ، ولهذا قال ﴿وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلْهَادِثِينَ﴾ .

الحزب

﴿وَأَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَبْذُرُ أُوْلُو الْأَئْتَابِ﴾

٢٦

يقول تعالى لا يستوى من يعلم من الناس أن الذى ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ هو الحق الذى لا شك فيه ، ولا مرية ، ولا لبس فيه ، ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً ، لا يضاد

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٨١) ، مسلم برقم (١٨٣) .

(٢) البخاري برقم (٧٩) ، مسلم برقم (٢٢٨١) . (٣) المسند (٢٧٣٣٣) .

(٤) البخاري برقم (٣٤٢٧) ، مسلم برقم (٢٢٨٤) .

والناس حولهم بعد والجنات حولها، رواهما ابن جرير. وقوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنَ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أى يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين، لتقر أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى من غير تنقيص للأعلى عن درجته بل امتناناً من الله وإحساناً، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [الطور: ٢١].

وقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾ أى وتدخّل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين، مهنيين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة فى دار السلام فى جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام. وقال الإمام أحمد^(١) رحمه الله: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنى سعيد بن أبى أيوب، حدثنا معروف بن سويد الجزامى عن أبى عشانة المعافرى، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته: اتئوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتكم من خلقك، أفتأمرنا أن تأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟ فيقول: إنهم كانوا عباداً يعبدونى لا يشركون بى شيئاً، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء - قال - فتأتىهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾».

رواه أبو القاسم الطبرانى^(٢) عن أحمد بن رشدين، عن أحمد بن صالح، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبى عشانة سمع عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «أول ثلثة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهى فى صدره، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها، فيقول: أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى، وأوذوا فى سبيلى، وجاهدوا فى سبيلى؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب. وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار، ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب عز وجل: هؤلاء عبادى الذين جاهدوا فى سبيلى، وأوذوا فى سبيلى، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾».

وقال عبد الله بن المبارك عن بقية بن الوليد: حدثنا أروطة بن المنذر، وقال: سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول: جلست إلى أبى أمامة فقال: إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سماطان من خدم، وعند طرف السماطين باب مبوب، فيقبل الملك فيستأذن فيقول اقضى الخدم للذى يليه ملك يستأذن، ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن، حتى

(١) المسند (٦٥٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم فى المستدرک (٢/ ٨١)، برقم (٢٣٩٣). وانظر السلسلة الصحيحة، برقم (٢٥٥٩).

يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا، فيقول أقربهم للمؤمن: ائذنوا له، ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له، فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له، فيدخل فيسلم ثم ينصرف، رواه ابن جرير^(١).
ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش، عن أرطاة بن المنذر عن أبي الحجاج يوسف الألهاني قال: سمعت أبا أمامة فذكر نحوه.

وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فِيمَنْ عَقِيَ الدَّارِ﴾^(٢) وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان.
﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٣)

هذا حال الأشقياء وصفاتهم، وذكر ما لهم في الآخرة، ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ كما ثبت في الحديث آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان^(٤). وفي رواية «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»^(٥)، ولهذا قال ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ وهي الإبعاد عن الرحمة، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وهي سوء العاقبة والمآل، ﴿وَمَا أُوْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُشْرُ لِلْهَادِ﴾ [الرعد: ١٨].

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ الآية، قال: هي ست خصال في المنافقين، إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا أؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا أؤتمنوا خانوا.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٦٦﴾
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ يُوَسِّلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
أَنَابَ ﴿٦٧﴾﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء، ويقتر. على من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة والعدل، وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدرأجا لهم وإمهالاً، كما قال: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهَا مُدْمِرٌ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ سَائِرِ لَمْ يَكْفُرُوا بِلَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾، كما قال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ قِيلِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]. وقال: ﴿يَلْ

(١) الطبري في التفسير (١٤٢/١٣).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٤٢/١٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣)، مسلم (٥٩).

(٤) سبق تخريجه.

تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿[الأعلى: ١٦-١٧]﴾. وقال الإمام أحمد^(١): حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد، قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس، عن المستورد أخى بنى فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم، فلينظر بم ترجع وأشار بالسبابة»، رواه مسلم^(٢) فى صحيحه. وفى الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ مر بجدى أسك ميت، والأسك الصغير الأذنين، فقال: «والله للدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين ألقوه»^(٣).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَنبَأُ ﴿٢٨﴾﴾

يخبر تعالى عن قبيل المشركين ﴿لَوْلَا﴾ [الرعد: ٢٧] أى هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٢٧]، كقولهم ﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُنزِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]. وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة، وأن الله قادر على إجابة ما سألوا، وفى الحديث «إن الله أوحى إلى رسوله لما سأله أن يحول لهم الصفا ذهباً، وأن يجرى لهم ينبوعاً، وأن يزيح الجبال من حول مكة، فيصير مكانها مروج وبساتين: إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك، فإن كفروا أعذبهم عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة، فقال: «بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة»^(٤)، ولهذا قال لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] أى هو المضل والهادى سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا أو لم يجيبهم إلى سؤالهم، فإن الهداية والإضلال ليس منوطاً بذلك ولا عدمه، كما قال: ﴿وَمَا تَعْنَى الْآيَةُ وَالشُّدْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا لَأَنبَأَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمُرُوقُ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلْمِزُونَنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] أى ويهدى إليه من أناب إلى الله ورجع إليه واستعان به وتضرع لديه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أى تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً، ولهذا قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أى هو حقيق بذلك.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَنبَأُ﴾ قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس: فرح وقررة عين. وقال عكرمة: نعم ما لهم. وقال الضحاك: غبطة لهم. وقال إبراهيم النخعي: خير لهم. وقال قتادة: هى كلمة عربية، يقول الرجل: طوبى لك، أى أصبت خيراً. وقال فى رواية: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ حسنى لهم، ﴿وَحَسُنَ مَا تَنبَأُ﴾ أى مرجع، وهذه الأقوال شئ واحد، لا منافاة بينها. وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ قال: هى أرض الجنة بالحبيشية، وقال سعيد بن مسجوح: طوبى اسم الجنة بالهندية، وكذا روى السدى عن عكرمة: طوبى لهم أى الجنة،

(١) المسند (١٧٥٤٧).

(٢) مسلم (٢٨٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٧)، أهد (١٤٥١٣) بلفظ: «والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»، من حديث جابر بن عبد الله.

(٤) المسند (٣٢١٣)، من حديث ابن عباس.

وبه قال مجاهد . وقال العوفى عن ابن عباس : لما خلق الله الجنة وفرغ منها ، قال : ﴿ أَذْرَبْتُمْ بَعْدَهَا فَأَمْتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِيَّ وَذَلِكَ حِينَ أُعْجِبْتَهُ .

وقال ابن جرير ^(١) حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب عن جعفر ، عن شهر بن حوشب قال : طوبى شجرة فى الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة ، وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس ومغيث بن سمي وأبى إسحاق السبيعي ، وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة فى الجنة فى كل دار منها غصن منها . وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى غرسها بيده من حبة لؤلؤة ، وأمرها أن تمتد ، فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى ، وخرجت من أصلها ينباع أنهار الجنة من غسل وخمر وماء ولبن . وقد قال عبد الله بن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، مرفوعاً «طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» ^(٢) .

وقال الإمام أحمد ^(٣) : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت عبد الله بن لهيعة ، حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله : طوبى لمن رآك وآمن بك ، قال : «طوبى لمن رآنى وآمن بى ، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى» قال له رجل : وما طوبى ؟ قال : «شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» . وروى البخارى ومسلم ^(٤) جميعاً عن إسحاق بن راهويه ، عن مغيرة المخزومي عن وهيب عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد قال : رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها» قال : فحدثت به النعمان بن أبى عياش الزرقى ، فقال : حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها» ^(٥) .

وفى صحيح البخارى ^(٦) من حديث يزيد بن زريع عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى قول الله : ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] قال : «فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها» . وقال الإمام أحمد ^(٧) : حدثنا سريج ، حدثنا فليح عن هلال بن على ، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، أقرأوا إن شئتم ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] . أخرجاه فى الصحيحين ^(٨) . وقال أحمد ^(٩) أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج ، قالوا : حدثنا شعبة : سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين - أو مائة سنة - هى شجرة الخلد» . وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ،

(١) الطبري فى التفسير (١٤٧/١٣) .

(٢) المسند (١١٢٧٦) .

(٣) البخارى برقم (٤٨٨١) ، مسلم برقم (٢٨٢٦) من حديث أبى هريرة .

(٤) أخرجه البخارى برقم (٦٥٥٣) .

(٥) البخارى برقم (٣٢٥١) .

(٦) سبق تخريجه .

(٧) المسند (٢٧٨٨) .

(٨) المسند (٩٥٦٠) .

(٩) المسند (١١٢٧٦) ، من حديث أبى سعيد الخدرى .

عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير في ظل الفتن منها الراكب مائة سنة - أو قال - يستظل في الفتن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» رواه الترمذی (١).

وقال إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء، إن شاء أبيض وإن شاء أحمر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» (٢)، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير (٣): حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور عن معمر، عن أشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضی الله عنه، قال: طوبى شجرة في الجنة، يقول الله لها: تفتقى لعبدى عما شاء، فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأزمتها، وعما شاء من الكسوة.

وقد روى ابن جرير (٤) عن وهب بن منبه ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا، قال وهب رحمه الله: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرها رباط، وورقها برود، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها يا قوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهى مجلس لأهل الجنة، فبينما هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نجبًا مزومة، بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصاييح حسنًا، ووبرها كخز المرعى من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه. قال: فيركبونها فهى أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نجبًا من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى، ولا برك راحلة برك الأخرى، حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لثلاث تفرق بين الرجل وأخيه، قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والإكرام.

قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلام ومنى السلام وعليكم حقت رحمتى ومحبتى، مرحبًا بعبادى الذين خشونى بغيث وأطاعوا أمرى.

قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا فى السجود قدامك.

قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار ملك ونعيم، وإنى قد رفعت عنكم نصب العبادة، فسلونى ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أميته، فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: رب تنافس أهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها رب فأتنى مثل كل شىء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن

(١) ضعيف: الترمذى برقم (٢٥٤١)، وانظر ضعيف الترمذى.

(٢) ضعيف: ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب فيه سعيد بن يوسف: ضعيف كما فى التقريب، وانظر ضعيف الترغيب للألبانى، برقم (٢٢١٢).

(٣) أخرجه الطبري فى التفسير (١٤٧/١٣). (٤) الطبري فى التفسير (١٤٨/١٣).

انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصرت بك أميتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، وسأتحنك بمنزلتي لأنه ليس في عطائي نكد ولا تصديد، قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيتهم، ولم يخطر لهم على بال.

قال: فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيتهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب، مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة، متظاهرة في كل قبة منها جارتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح طيبة إلا قد عبقتا به، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراها أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك ويدخل إليهما فيحييانه، ويقبلانه، ويتعلقان به، ويقولان له: والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًا في الجنة حتى ينتهي بكل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له.

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه، وزاد: فانظروا إلى موهوب ربكم الذي وهب لكم، فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى، وغرف مبنية من الدر والمرجان، وأبوابها من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور يفور من أبوابها، وعراسها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدرّي في النهار المضيء، وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها، فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصار، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقري الأحمر، وما كان فيها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر، وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر، منزّه بالزمرّد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء، قوائمه وأركانها من الجواهر، وشرفها قباب من لؤلؤ، وبروجها غرف من المرجان، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم، قربت لهم براذين من ياقوت أبيض، منفوخ فيها الروح، تجنبها الولدان المخلدون بيد كل وليد منهم حكمة برذون من تلك البراذين، ولجمها وأعتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت، سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق، فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم يبطن رياض الجنة، فلما انتهوا إلى منازلهم، وجدوا الملائكة قعودًا على منابر من نور ينتظرونهم ليزورهم ويصافحهم ويهنئهم كرامة ربهم، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم، وما سألوا وتمنوا، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنات: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مدهامتان، وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام، فلما تبينوا منازلهم واستقروا قرارهم، قال لهم ربهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قالوا: نعم وربنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فأرض عنا. قال: برضاي عنكم حللتم داري، ونظرتم إلى وجهي، وصافحتكم ملائكتي، فهنيئًا هنيئًا لكم، ﴿عَطَلَةٌ غَيْرُ يُحْدَوِرُ﴾ [هود: ١٠٨] ليس فيه تنغيص ولا تصيد، فعند ذلك قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وأدخلنا دار المقامة

من فضله، لا يمسننا فيها نصب، ولا يمسننا فيها لغوب، إن ربنا لغفور شكور، وهذا سياق غريب، وأثر عجيب، ولبعضه شواهد، ففي الصحيحين^(١) أن الله تعالى يقول لذلك الرجل يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة: تمن، فيتمنى، حتى إذا انتهت به الأمانى يقول الله تعالى: تمن من كذا، وتمن من كذا، يذكره، ثم يقول: ذلك لك وعشرة أمثاله.

وفى صحيح مسلم^(٢) عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكى شيئا إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل فى البحر». الحديث بطوله.

وقال خالد بن معدان: إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى، لها ضروع كلها ترضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون فى نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فبيعت ابن أربعين سنة، رواه ابن أبى حاتم.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣١﴾﴾

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد فى هذه الأمة ﴿لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أى تبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا فى الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كذب الرسل من قبلك فلك فيهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقممتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين.

قال الله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَعَدَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقًا مِمَّنْ السَّيِّئِينَ أَعْمَلْتُمْ فَهُوَ يَكْفُرُونَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنْهَبَهُمْ فَصَبِرُوا وَلَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] أى كيف نصرناهم، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم فى الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أى هذه الأمة التى بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به، لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، وقالوا: ما ندرى ما الرحمن الرحيم.

قاله قتادة، والحديث فى صحيح البخارى^(٣). وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَبَا مَا نَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وفى صحيح مسلم^(٤) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن» ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أى هذا الذى تكفرون به، أنا مؤمن به معترف، مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربى لا إله إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أى فى جميع أمورى، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أى إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه.

(١) البخارى برقم (٦٥٧٤)، مسلم برقم (١٨٢) من حديث أبى هريرة.

(٢) مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٣) البخارى برقم (٢٧٣٤) من حديث المسور بن مخرمة.

(٤) مسلم برقم (٢١٣٢)، بلفظ «أسمائكم».

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِمَادَ ﴿٣٥﴾﴾

يقول تعالى مادحا للقرآن الذى أنزله على محمد ﷺ ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ أى لو كان فى الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى فى قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذى لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له ﴿بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أى مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل الله فلا هادى له، ومن يهد الله فلا مضل له، وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة، لأنه مشتق من الجميع .

قال الإمام أحمد ^(١) : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن همام بن منبه . قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «خفت على داود عليه السلام القراءة فكان يأمر بدابته أن تسرج، فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه» انفرد بإخراجه البخارى ^(٢) . والمراد بالقرآن هو الزبور . وقوله ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أى من إيمان جميع الخلق ويعلموا، أو يتبينوا ﴿أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع فى النفوس والعقول من هذا القرآن الذى لو أنزله الله على جبل لرأته خاشعًا متصدعًا من خشية الله . وثبت فى الصحيح ^(٣) أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبي إلا وقد أوتى ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» ، معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الأباد لا تنقض عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله .

وقال ابن أبي حاتم ^(٤) : حدثنا أبو زرعة، حدثنا منجاب بن الحارث، أنبأنا بشر بن عمارة، حدثنا عمر بن حسان عن عطية العوفى قال : قلت له : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية، قالوا لمحمد ﷺ : لو سيرت لنا جبال مكة حتى تسع، فنحرت فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالرياح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيى الموتى لقومه، فأنزل الله هذه الآية، قال : قلت : هل تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبى ﷺ قال : نعم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ ، وكذا روى ابن عباس والشعبي وقتادة والثوري وغير واحد فى سبب نزول هذه الآية،

(١) المسند (٣٧٣٧٧).

(٢) البخاري برقم (٣٤١٧)، من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري برقم (٧٢٧٤)، مسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) ضعيف : فيه عطية العوفى : صدوق يخطئ كثيرا وكان شيعيا مدلسا.

فالله أعلم . وقال قتادة : لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم فعل بقرآنكم .

وقوله ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس : أى لا يصنع من ذلك إلا ما شاء ولم يكن ليفعل ، رواه ابن إسحاق بسنده عنه ، وقاله ابن جرير أيضًا . وقال غير واحد من السلف فى قوله ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : أفلم يعلم الذين آمنوا ، وقرأ آخرون : (أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا) . وقال أبو العالية : قد يشس الذين آمنوا أن يهدوا ، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعًا . وقوله : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أى بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم فى الدنيا أو تصيب من حولهم ، ليتعظوا ويعتبروا ، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوَّلْنَا مِن الْقَرْيَةِ الَّتِي كَفَرْنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف : ٢٧] وقال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء : ٤٤] . قال قتادة عن الحسن ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أى القارعة وهذا هو الظاهر من السياق .

وقال أبو داود الطيالسى ^(١) : حدثنا المسعودى عن قتادة عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ قال : سرية ، ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قال محمد ﷺ ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ﴾ قال «فتح مكة» ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد فى رواية ، وقال العوفى عن ابن عباس ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ قال : عذاب من السماء ينزل عليهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ يعنى نزول رسول الله ﷺ بهم وقتاله إياهم ، وكذا قال مجاهد وقاتة .

وقال عكرمة فى رواية عن ابن عباس ﴿قَارِعَةٌ﴾ أى نكبة . كلهم قال ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ﴾ يعنى فتح مكة . وقال الحسن البصرى : يوم القيامة ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ أى لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم فى الدنيا والآخرة ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَابٍ﴾ [إبراهيم : ٤٧] .

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٧﴾﴾ يقول تعالى مسلبيًا لرسوله ﷺ فى تكذيب من كذبه من قومه : ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أى فلك فىهم أسوة ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى انظرتهم وأجلتهم ، ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ أخذه رابية ، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم ، كما قال تعالى : ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ آمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَى الْمَعْبُودِ﴾ [الحج : ٤٨] وفى الصحيحين ^(٢) «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الشَّرِيْنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود : ١٠٢] .

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُل سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْدُوهُ مِنَ الْقَوْلِ بَل زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أى حفيظ عليهم رقيب على كل نفس منفوسة

(١) أخرجه الطبري (١٥٦/٣) ، من طريق أبي داود الطيالسى .

(٢) البخاري برقم (٤٦٨٦) ، مسلم برقم (٢٥٨٣) ، من حديث أبي موسى .

يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعَثُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [مؤد: ٦]، وقال: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال: ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبُ وَهُوَ غَافٍ﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر، ولا تعقل، ولا تملك نفعاً لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضرر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاءً بدلالة السياق عليه وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي عبدها معه من أصنام وأنداد وأوثان ﴿قُلْ سَوَاءٌ أَمِ اعْلَمُونَا بِهِمْ، وَاكشَفُوا عَنْهُمْ حَتَّى يَعْرِفُوا، فَإِنَّهُمْ لَا حَقِيقَةَ لَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَهُ﴾ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا وجود له، لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها، لأنه لا تخفى عليه خافية ﴿أَمْ يَبْدِيهِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ .

قال مجاهد: بظن من القول. وقال الضحاك وقتادة: يبطل من القول، أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتوا آلهة ﴿إِنَّ مِنْ إِلَّا أُمَّتَهُمْ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ .

قال مجاهد: قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آتاء الليل وأطراف النهار كما قال: ﴿وَقَمَّسْنَا لَهْرَ قُرْآنِهِ فَرَيَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْوَيْحِ وَالْأْوِينِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [نمل: ٢٥]، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما هم فيه، وأنه حق دعوا إليه، وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها ﴿وَصُدُّوا﴾ أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه، صدوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَآؤٍ﴾ كما قال ﴿وَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١] وقال ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدْيَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧] .

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٦﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٧﴾﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي بأيدي المؤمنين قتلاً وأسراً، ﴿وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ أي المدخر مع هذا الخزي في الدنيا ﴿أَشَقُّ﴾ أي من هذا بكثير، كما قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة»^(١) وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٩٣)، الترمذي برقم (١٢٠٢)، النسائي برقم (٣٤٧٣)، أحمد برقم (٤٩٨٩)، من حديث ابن عمر .

بيده، إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة. قال: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس فى الجنة أذى؟ قال: «حاجة أحدهم رشح يفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه».

وقال الحسن بن هرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة، فيخر بين يديك مشويًا»^(١) وجاء فى بعض الأحاديث أنه إذا فرغ منه عاد طائرًا كما كان بإذن الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَكْفَهُوْا كَثِيْرًا لَا مَقْطُوْعًا وَلَا سَمُوْعًا﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]، وقال ﴿وَدَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْرُقُهَا تَدْيِيْلًا﴾ [الإنسان: ١٤] وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيْهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيْهَا وَلَا ظِلْمًا﴾ [النساء: ٥٧].

وقد تقدم فى الصحيحين^(٢) من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمهر السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها» ثم قرأ ﴿وَبَلَدٍ مَّذُوْرٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب فى الجنة ويحذر من النار، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر قال بعده: ﴿بَلَدٍ مَّذُوْرٍ﴾ [النساء: ٣٠]. كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيْ أَسْحَابُ النَّارِ وَأَسْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

وقال بلال بن سعد خطيب دمشق فى بعض خطبه: عباد الله، هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من عبادتكم تقبلت منكم، أو أن شيئًا من خطاياكم غفرت لكم؟ «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، والله لو عجل لكم الثواب فى الدنيا لاستقلتمت كلكم ما افترض عليكم، أو ترغبون فى طاعة الله لتعجيل دنياكم ولا تنافسون فى جنة «أَكَلُهَا دَائِبٌ وَظِلُّهَا بَلَدٌ مَّذُوْرٍ﴾ [النساء: ٣٠]. رواه ابن أبى حاتم^(٣).

﴿وَالَّذِيْنَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ بِفَرْحُوْتٍ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَنْحَرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُنزِلَتْ أَنْ أَعْبَدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوْا وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النساء: ٣٠].

يقول تعالى ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾ وهم قانمون بمقتضاه «بِفَرْحُوْتٍ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» أى من القرآن لما فى كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: ﴿الَّذِيْنَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ بِفَرْحُوْتٍ حَقٍّ يَلَاوِيْهِ أَوْلِيْكُ يَوْمَئِذٍ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَنْ يَنْكُرْ بِهِ فَأَوْلِيْكُ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُمْ بِهٖ وَلَا تُوْمِنُوْا بِهٖ إِلَّا بِالَّذِيْنَ أَوْثَرُ الْعِلْمِ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْئَلُ عَلَيْهِمْ يُخَيَّرُونَ لِأَلْدَقَانِ سَجْدًا وَيَقُوْلُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَتْ رِئَابًا لِّمَفْعُوْلًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨] أى إن كان ما وعدنا الله به فى كتبنا من إرسال محمد ﷺ لحقًا وصدقًا مفعولا لا محالة وكائنًا، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده «وَيَخَيَّرُونَ لِأَلْدَقَانِ يَكُوْنُ وَرِيْدُهُمْ

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٣٦/٥)، برقم (١١٧١).

(٢) البخارى برقم (٤٨٨١)، مسلم (٢٨٢٦)، من حديث أبى هريرة.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء (٢٣٢/٥).

خُشُوعًا [الإسراء: ١٠٩]، وقوله ﴿وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ أى ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك . وقال مجاهد ﴿وَمِنَ الْأَخْرَابِ﴾ اليهود والنصارى من ينكر بعض ما جاءك من الحق ، وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهذا كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَلِصِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ [إل عمران: ١٩٩] ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُرْسِلْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ﴾ أى إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له ، كما أرسل الأنبياء من قبلى ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ أى إلى سبيله أَدْعُوا الناس ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ أى مرجعى ومصيرى .

وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أى وكما أرسلنا قبلك المرسلين ، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء ، كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما معربا ، شرفناك به ، وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلى الذى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] . وقوله : ﴿وَلَكِنِ اتَّبَعَتِ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أى آراءهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أى من الله تعالى ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ رَيٍّْ وَلَا وَاقٍ﴾ وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحنة المحمدية ، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٠٠﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٠١﴾﴾

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد رسولا بشريا ، كذلك بعثنا المرسلين قبلك بشرا ، يأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ، ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] وفى الصحيحين ^(١) أن رسول الله ﷺ قال : «أما أنا فأصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأكل الدسم ، وأنزج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى» . وقال الإمام أحمد ^(٢) : حدثنا يزيد ، أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله ﷺ : «أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح . والسواك ، والحناء» . وقد رواه أبو عيسى الترمذى ^(٣) عن سفيان بن وكيع عن حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن مكحول ، عن أبى الشمال ، عن أبى أيوب فذكره ، ثم قال : وهذا أصح من الحديث الذى لم يذكر فيه أبو الشمال .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ﴾ أى لم يكن يأتى قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ، ليس ذلك إليه بل إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أى لكل مدة مضروبة ، كتاب مكتوب بها ، وكل شىء عنده بمقدار ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وكان الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أى لكل كتاب أجل ، يعنى لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ، ومقدار معين ، فلهدا

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ، مسلم برقم (١٤٠١) ، من حديث أنس بن مالك .

(٢) المسند (٢٣٠٦٩) .

(٣) ضعيف الترمذى (١٠٨٠) ، وانظر ضعيف الترمذى .

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ منها، ﴿وَرَبِّتْ﴾ يعنى حتى نسخت كلها بالقرآن الذى أنزله الله على رسوله صوات الله وسلامه عليه. وقوله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبِّتْ﴾ اختلف المفسرون فى ذلك فقال الثورى ووكيع وهشيم عن ابن أبى ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وفى رواية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبِّتْ﴾ قال: كل شيء إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة، فإنهما قد فرغ منهما.

وقال مجاهد ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبِّتْ﴾ إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما لا يتغيران. وقال منصور: سألت مجاهدًا، فقلت: أ رأيت دعاء أحدنا يقول: اللهم إن كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم، وإن كان فى الأشقياء فامحه عنهم، واجعله فى السعداء؟ فقال: حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر، فسألته عن ذلك فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ بُرُوجٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ الآيتين [الدخان: ٣-٤]، قال: يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاوة والسعادة فهو ثابت لا يتغير، وقال الأعمش، عن أبى وائل شقيق بن سلمة: إنه كان كثيرًا ما يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء، فامحه واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، رواه ابن جرير^(١)، وقال ابن جرير^(٢) أيضًا: حدثنا عمرو بن على حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبى عن أبى حكيم عصفمة، عن أبى عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكى: اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة.

وقال حماد عن خالد الحذاء، عن أبى قلابه، عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضًا. ورواه شريك عن هلال بن حميد، عن عبد الله بن عكيم، عن ابن مسعود بمثله. وقال ابن جرير^(٣): حدثنى المثنى، حدثنا حجاج، حدثنا خصاف عن أبى حمزة، عن إبراهيم، أن كعبًا قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، لولا آية فى كتاب الله لأبأنك بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ الآية، ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما ورواه الإمام أحمد^(٤): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان هو الثورى، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبى الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر»، ورواه النسائى وابن ماجه من حديث سفيان الثورى به. وثبت فى الصحيح أن صلة الرحم تزيد فى العمر. وفى حديث آخر «إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض»^(٥).

وقال ابن جرير^(٦): حدثنى محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرزاق، أنا ابن جرير

(١) الطبري فى التفسير (١٦٧/١٣).
 (٢) الطبري فى التفسير (١٦٨/١٣).
 (٣) الطبري فى التفسير (١٦٧/١٣).
 (٤) المسند (٢١٨٨١).
 (٥) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (٤٨٦/١).
 (٦) الطبري فى التفسير (١٧٠/١٣).

عن عطاء، عن ابن عباس قال: إن لله عز وجل لوحًا محفوظًا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت - والدفتان: لوحان - لله عز وجل، كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة، يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب. وقال الليث بن سعد عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل، في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت» وذكر تمام الحديث، رواه ابن جرير (١).

وقال الكلبي: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قال: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد (٢) فيه، فقيل له: من حدثك بهذا؟ فقال: أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رثاب، عن النبي ﷺ، ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية، فقال: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عليه عقاب، مثل قولك: أكلت وشربت، ودخلت وخرجت، ونحو ذلك من الكلام، وهو صادق، ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب، وقال عكرمة عن ابن عباس: الكتاب كتابان، فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يقول: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله، فيموت على ضلالة، فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله، وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت، وروى عن سعيد بن جبير أنها بمعنى ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وجملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب، وقال قتادة في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ كقوله: ﴿مَا نَسَخَ مِن آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] الآية. وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قال: قالت كفار قريش حين نزلت ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ما نرى محمدًا يملك من شيء فلقد فرغ من الأمر، فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم، إنا شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا، ونحدث في كل رمضان، فنمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما نعطيهم وما نقسم لهم.

وقال الحسن البصري ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قال: من جاء أجله يذهب، ويثبت الذي هو حي يجرى إلى أجله، وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: الحلال والحرام، وقال قتادة: أي جملة الكتاب وأصله، وقال الضحاك ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: كتاب عند رب العالمين، وقال سنيد بن داود: حدثني معتمر عن أبيه، عن سيار، عن ابن عباس أنه سأل كعبًا عن أم الكتاب، فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون، ثم قال لعلمه: كن كتابًا فكان كتابًا، قال ابن جريج عن ابن عباس ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: الذكر.

(١) الطبري في التفسير (١٣/١٧٠).

(٢) الطبري في التفسير (١٣/١٧١).

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

يقول تعالى لرسوله ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد، بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أى قبل ذلك، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ أى إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله، وقد بلغت ما أمرت به ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ أى حسابهم وجزاؤهم، كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [المناسبة: ٢٦-٢٧]، وقوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ .

قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد ﷺ الأرض بعد الأرض، وقال فى رواية: أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران فى ناحية. وقال مجاهد وعكرمة: نقصها من أطرافها، قال: خرابها. وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين. وقال العوفى عن ابن عباس: نقصان أهلها وبركتها. وقال مجاهد: نقصان الأنفس والشمرات وخراب الأرض. وقال الشعبي: لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك، ولكن تنقص الأنفس والشمرات، وكذا قال عكرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه، ولكن هو الموت. وقال ابن عباس فى رواية: خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها، وكذا قال مجاهد أيضاً: هو موت العلماء، وفى هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أحمد بن عبد العزيز أبى القاسم المصرى الواعظ سكن أصبهان، حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المرنى بدمشق، أنشدنا أبو بكر الأجرى بمكة قال: أنشدنا أحمد بن غزال لنفسه:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يموت عالم منها يموت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد فى أكنافها التلطف
والقول الأول أولى، وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية، كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُ
مِنَ الْقُرَىٰ﴾ [الاحقاف: ٢٧]، وهذا اختيار ابن جرير.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ عِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ
عُقِبَى الدَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسلمهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين، كقوله: ﴿وَإِذْ يَتَكَبَّرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُلْقِيَنَّكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَكَرَّمَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْكُ إِذْ يَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الأنفال: ٥٠-٥٢]. وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أى أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر وسيجزي كل عامل بعمله ﴿وَسِعَ عِلْمُهُ الْكُفْرَ﴾، والقراءة الأخرى الكفار، ﴿لِمَنْ عُقِبَى الدَّارِ﴾ لمن تكون الدائرة والعاقبة لهم أو لأتباع الرسل، كلا، بل هى لأتباع الرسل فى الدنيا والآخرة، ولله الحمد والمنة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١٣)

يقول تعالى يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ أى ما أرسلك الله ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أى حسبى الله هو الشاهد على وعليكم . شاهد على فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان، وقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قيل: نزلت فى عبد الله بن سلام، قاله مجاهد، وهذا القول غريب، لأن هذه الآية مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم فى أول مقدم النبى ﷺ المدينة، والأظهر فى هذا ما قاله العوفى عن ابن عباس قال: هم من اليهود والنصارى .

وقال قتادة: منهم ابن سلام وسلمان وتميم الدارى، وقال مجاهد فى رواية عنه: هو الله تعالى، وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ويقول: هى مكية، وكان يقرؤها ومن عنده علم الكتاب ويقول: من عند الله، وكذا قرأها مجاهد والحسن البصرى .

وقد روى ابن جرير^(١) من حديث هارون الأعور عن الزهري عن سالم، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأها ومن عنده علم الكتاب، ثم قال: لا أصل له من حديث الزهري عند الثقات، قلت، وقد رواه الحافظ أبو يعلى فى مسنده من طريق هارون بن موسى هذا، عن سليمان بن أرقم، وهو ضعيف، عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً كذلك ولا يثبت، والله أعلم، والصحيح فى هذا أن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته فى كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَلْعَمَهُ عَلَّمَتُونَا بِئِنَّ رَبَّنَا عَلِيمٌ غَلِيبٌ﴾ الآية [الشعراء: ١٩٧]، وأمثال ذلك مما فيه من الإخبار عن علماء بنى إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد فى حديث الأخبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة .

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني^(٢) فى كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا محمد بن مصطفى، حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه عن جده عبد الله بن سلام أنه قال لأخبار اليهود: إني أردت أن أحدد بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عيداً، فانطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، فوافاهم وقد انصرفوا من الحج، فوجد رسول الله ﷺ بمنى والناس حوله، فقام مع الناس، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «أنت عبد الله بن سلام؟» قال قلت: نعم، قال «ادن» . قال: فدنوت منه . قال: «أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام، أما تجدنى فى التوراة رسول الله؟» فقلت له: انعت ربنا، قال: فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ

(١) فى التفسير (١٧٨/١٣)، وفى إسناده أبو يعلى سليمان بن أرقم: متروك الحديث كما قال الهيثمي فى المجمع (٥٨/٧) .

(٢) ضعيف: دلائل النبوة (ص ٣٠٠)، وفيه الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن .

أَلصَّكْمُ ﴿ [الإخلاص: ١-٢] إلى آخرها، فقرأها علينا رسول الله ﷺ، فقال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة، فكتب إسلامه، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنا فوق نخلة لى أجدها، فألقيت نفسي، فقالت أُمِّي: لله أنت، لو كان موسى بن عمران ما كان لك أن تلقى نفسك من رأس النخلة، فقلت: والله لأنا أسر بقدم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث، وهذا حديث غريب جداً. آخر تفسير سورة الرعد، ولله الحمد والمنة.

